جامعة الأزهر

Al-Azhar University

خُطب أكثم بن صيفي

دراسة بلاغية في ضوء التأويل التقابلي

الدكتورة

راوية حسين جابر خليل

الأستاذ المساعد في قسم البلاغة والنقد

في كلية البنات الأزهرية بطيبة - الأقصر

جامعة الأزهر

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

خُطب أكثم بن صيفي دراسة بلاغية في ضوء التأويل التقابلي

راوية حسين جابر خليل.
قسم البلاغة والنقد، كلية البنات الأزهرية بطيبة، جامعة الأزهر، مصر
البريد الالكتروني: Rawia-khalil.80@azhar.edu.eg

ملخص:

تعددت قراءات الأثر الأدبي وطرق تأويله، واستفاد كثير منها من الدرس اللساني الغربي، فولّى الباحث المغربي محمد بازّي وجهَه شطر منهج بلاغي يربط بين النصوص والوجود والفلسفة الإيمانية، فمن الوجود يستمد الإنسان لغته المعبرة تحدثًا وكتابة، فما تحويه لغته ظل لبلاغة الكون الذي أبدع الخالق تقابلاته، في هذا المنهج وسَّع بازي مفهوم التقابل، وسعى إلى تكوين نظرية تأويلية عربية أساسها البلاغة عبر ربطها بالتأويل، من هنا يقدّم هذا البحث قراءة بلاغية جديدة للخطبة العربية، ويتيح للقارئ فرصة تتبع تحليل تقابلي لها، وتتمثل أهميته في تطبيقه منهجًا جديدًا هو منهج التأويل التقابلي الذي وضعه محمد بازي على نص تراثي ثري بالحكم والمواعظ والمثُل العليا هو خطب أكثم بن صيفي التي تعد أرضًا خصبة لتطبيقه لغناها بالتقابلات البنائية اللفظية والمعنوية على مستوى المفردات والتراكيب حضورية وغيابية، ويهدف إلى تجلية التقابلات التي حوتْها تلك الخطب، والوصول إلى الدلالات الخفية والبُنى العميقة لها، وقد توصل إلى نتائج أهمها: كشف تحليل الخطب بمنهج التأويل التقابلي عن مقاصد أكثم، والدلالات الخفية للخطب وصولًا إلى بنيتها العميقة، وبلورة فلسفة أكثم في النظر إلى وجود الإنسان في الكون، وما ينبغي أن يكون عليه بأن يغتنم حاضره ويعمره بالمثل العليا ونفع الآخرين، ويمتثل الغاية من وجوده باتباع المنهج الرباني.

الكلمات المفتاحية: خطب أكثم، البلاغة، التأويل التقابلي، الدلالات الخفية.

Speeches of Aktham ibn Saifi "A Rhetorical Study in Light of Contrastive interpretation"

Rawia Hussein Jaber Khalil
Department of Rhetoric and Criticism, Girls' College in Taiba, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Rawia-khalil.80@azhar.edu.eg

Abstract: The readings and interpretations of literary works have diversified, and many of them have benefited from the Western linguistic study. The Moroccan researcher, Mohamed Bazzi, directed his attention towards a rhetorical approach that links texts, existence, and faith-based philosophy. From existence, humans derive their expressive language, both spoken and written. The language they possess is a reflection of the eloquence of the universe, whose creator has established contrasts. In this approach, Bazzi broadened the concept of contrast and sought to form an Arabic interpretive theory based on rhetoric by linking it to interpretation. Hence, this research presents a new rhetorical reading of the Arabic speech and offers the reader an opportunity to follow a contrastive analysis of it. Its importance lies in its application of a new method, the method of contrastive interpretation developed by Mohamed Bazzi, to a rich heritage text full of wisdom, advice, and high ideals, which are the speeches of Aktham

ibn Safi. This text is a fertile ground for its application due to its richness in structural verbal and semantic contrasts at the levels of words and phrases, both present and absent. The study aims to reveal the contrasts contained in these speeches and to reach their hidden meanings and deep structures. The most important results of the study include: the analysis of the speeches using the method of contrastive interpretation revealed Aktham's intentions and the hidden meanings of the speeches, leading to understanding its deep structure. It also crystallized Aktham's philosophy in looking at the human existence in the universe and what he should be, namely seizing his present and enriching it with high ideals and benefiting others, and fulfilling the purpose of his existence by following the divine approach.

Keywords: Speeches, Aktham, Rhetoric, Contrastive interpretation, Hidden meanings.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الكون، وأبدع تقابلاته، وعلّم الإنسان كيف ينتقي منها ما يعبر عن أغراضه وحاجاته، والصلاة والسلام على من أنزل عليه آياته، وآتاه جوامع الكلم وأيده بمعجزاته، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فإن التأويل التقابلي يضرب بجذور عميقة في البلاغة العربية، والمتتبع لجهود علمائنا الأوائل يجدهم ينطلقون في جل موضوعاتها من منطلق تقابلي في البعد العميق، يُفرِّعون عنه ألوانها.

وحضوره في القديم لا يعني أن نقف عنده جامدين، بل ينبغي أن نفيد منه في تأويل المعاني ونطوّره، وقد أخذ هذه المهمة على عاتقه د. محمد بازّي الباحث المغربي منطلِقًا من البلاغة والتراث العربيَّيْن.

ينتمي مشروع التأويل التقابلي للدكتور محمد بازّي إلى البلاغة بوصفها مجموعة من التقنيات التي تسمح بوصف عملية إنتاج الخطابات والنصوص وإعادة بنائها، وقد طوَّر بازي مفهوم التقابل ووسَّع دائرة اشتغاله، وتجاوز السطح إلى العمق، وانتقل إلى تقابلية رحبة تكتسب قوّتها من انفتاحها باستمرار وعدم اتخاذها شكلًا قارًّا، وسعى إلى تكوين نظرية تأويلية عربية أساسها البلاغة عبر ربطها بالتأويل، أي أن تصبح منتجة للمعنى العميق، وذلك عبر مجموعة من الأعمال تجمع بين التنظير والتطبيق.(١)

ويسعى هذا البحث إلى تطبيق هذه المنهجية على نص تراثي بهدف

---

(١) ينظر: الأسس المعرفية لتأويلية التقابل، مصطفى رجوان، ضمن (نحو بلاغة تأويلية جديدة: أبحاث محكمة في جهود الباحث الأكاديمي المغربي محمد بازي) ط١ مطبعة قرطبة – أكادير ٢٠١٩م، ص ١٧١، ١٧٢.

تجلية أبعاد التقابل فيه، وبيان خدمتها للمعنى الكلّيّ العميق، حيث "إن الخطاطات الذهنية الأولية للمعنى تتشكل وفق أبعاد متقابلة بأي شكل من أشكال التقابل .... يبقى مرجعنا فيها التقابل المكتوب أو الشفوي"(١) ذاك "أن التقابل يسكن الوجود، بل يؤسسه كما أنه يشكل العمود الفقري لأنساق التواصل"(٢) ومن الوجود يستمد الإنسان لغته المعبرة تحدثًا وكتابة، فما تحويه تحويه لغته ظل لبلاغة الكون الذي أبدع الخالق تقابلاته "فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها".(٣)

ويعد التقابل وسيلة رائعة لتوضيح الأفكار وإفهام المتلقي، فكما قيل بضدها تتمايز الأشياء(٤)، غير أن مفهوم التقابل أوسع من مفهوم الضدية فهو لا يقتصر على الطباق والمقابلة بمفهوميهما المعروفين في علم البديع، بل يمتد ليشمل صورًا شتى كالترادف، والتماثل، والسببية، والتشبيه، والاستعارة، والتقسيم....، إذ يعتمد على "مجاورة المعاني بعضها البعض، والتقريب بينها على مستوى التصور والتعرف والإدراك".(٥)

---

(١) نظرية التأويل التقابلي، مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب، محمد بازّي، ط١ دار الأمان –الرباط، ومنشورات الاختلاف –الجزائر، ومنشورات ضفاف – بيروت ٢٠١٣م، ص ٢٤٩.

(٢) تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويل تقابلي، محمد بازي، ط١ الدار العربية للعلوم ناشرون –بيروت ٢٠١٠م، ص ١٥٩.

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة – بيروت، ٢٧/٣.

(٤) عبارة سائرة على الألسنة، وهي في ديوان المتنبي: وبضدّها تتبيّنُ الأشياءُ (ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م، ص ١٢٧).

(٥) تقابلات النص، ص ١٥٩.

وخطاب الحكمة خلاصة التجربة الحياتية للمرسل فهو مستوحى من مواقف الحياة بعد معالجتها بعقله وصياغتها بفكره، فهو من أنسب أنواع الخطاب للمقاربة بنظرية التأويل التقابلي "وبما أن التقابل أساس الحياة وعصبها فقد بنوا عليه القول، وتوسلوا به في الإنتاج وصناعة المعنى".(١)

وقد اشتهر العرب بالحكمة القولية، واشتهر أكثم (٢) بـــ(حكيم العرب) فلا غرو أن يتسم خطابه بالتقابلات البنائية اللفظية والمعنوية على مستوى المفردات والتراكيب حضورية أو غيابية؛ إذ "تتشكل خارج دائرة سلسلة الخطاب ذهنيا ترابطات بين الكلمات وذلك عن طريق الاستحضار".(٣)

لذا يتناول البحث خطب أكثم بن صيفي – تلك التي بثّها حِكمَه وخلاصةَ خبرته في الحياة – في ضوء التأويل التقابلي للوصول إلى معانيها العميقة، وجاء البحث في مقدمة وتمهيد وعرض وخاتمة.

وحيث إن كتب التراث لم تحفظ لنا من خطبه سوى ثلاث خطب فقد تناولها البحث في العرض بالتحليل مرتبة ترتيبًا زمنيًّا، حيث يعرض نص الخطبة أوّلا؛ ليكون السياق متّصلا بين يدي القارئ، ثم يعرّج على تجلية

---

(١) تقابلات النص، ص ١٦٠.

(٢) أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي: حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين، عاش زمنا طويلا، وأدرك الإسلام، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق، وبعث بإسلامه مع من بلغ المدينة من أصحابه.

(الأعلام، االزركلي، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ٦/٢).

(٣) النظريات اللسانية الكبرى: من النحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بوفو، جورج إلياسرفاتي، تر/ محمد الراضي، ط ١ المنظمة العربية للترجمة –بيروت، ٢٠١٢م، ص ١٣٦.

المتقابلات التي حوتْ وصولًا إلى التأويل التقابلي الذي يُجلّي البنية العميقة لها.

وقبل ولوج التحليل لا بد من تمهيد يمنح إطلالة سريعة على التأويل التقابلي بين التراث والمعاصرة.

تمهيد

التأويل التقابلي بين التراث والمعاصرة

أوّلاً: أصول التأويل التقابلي عند علماء البلاغة الأوائل:

من أسس التأويل التقابلي لدى البلاغيين القدامى تقابل (المسند والمسند إليه) في علم المعاني، و(الملزوم واللازم) والمقابلة بين المجاز والحقيقة وبيان أيهما أبلغ في علم البيان، و(المُشاكِل والمُشاكَل به) وتقابل (طرفي المعنى في أسلوب الحكيم) و(طرفي الطباق والمقابلة والمزاوجة والجناس ...) في علم البديع، إلى آخر ما نجده مبثوثًا في كتبهم مثل كتاب الصناعتين للعسكري، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة للجرجاني، ومفتاح العلوم للسكاكي وغيرها.

فنجد البعد التقابلي حاضرًا مثلًا في تحليل العسكري (ت٣٩٥هـ) لأمثلة الاستعارة حيث يذكر في كل مثال أفضلية التعبير الاستعاري وأبلغيته على الحقيقي، ويعلل بقوله "وفضل هذه الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة أنها تفعل في نفس السامع ما لا تفعل الحقيقة " [١] فهو ينطلق في التفضيل من التقابل بين الاستعارة والحقيقة، وفي تحليله لقول الله – تعالى–: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾ [النمل٥٠] يقول: " فالمكر من الله تعالى العذاب، جعله الله – عز وجل – مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته" [٢] والآية من أمثلة المشاكلة مثّل بها للمقابلة في المعنى مما ينم عن تأسيس المشاكلة على بعد تقابلي عند القدامى، وفي الاستشهاد والاحتجاج يقول: "وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر،

---

(١) كتاب الصناعتين، العسكري، تحقيق/ علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، ١٤١٩هـ، ص ٢٦٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٣٧.

ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته".[١] فسبيله لتوليد المعنى والاحتجاج لصحته إحداث المواجهة بين المعنى الأول المستشهد له والمعنى الثاني المستشهد به.

أما عبد القاهر للجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤ هـ) فيظهر البعد التقابلي عنده في نظرية (المعنى، ومعنى المعنى) التي أسس عليها علم البيان "نعني بالمعنى المفهومَ من ظاهرِ اللفظِ والذي تَصِلُ إليه بغير واسطة و"بمعنى المعنى"، أن تَعْقِل من اللفظِ معنًى، ثم يُفضي بكَ ذلكَ المعنى إِلى معنى آخر"[٢] حيث يُبنى الفهم على التواجه بين المعنى المباشر المفهوم من ظاهر اللفظ والمعنى غير المباشر.

ويبدو حديثه جليًّا عن استحضار المشبهات بها المناسبة المقابلة للمشبهات في قوله في الفرق بين التشبيه الغريب و التشبيه القريب "والمعنى الجامع في سبب الغرابة أن يكون الشّبَهُ المقصودُ من الشيء مما لا يتسرع إليه الخاطر، ولا يقع في الوهم عند بديهة النظر إلى نظيره الذي يُشبه به، بل بعد تثبُتٍ وتذكر وفَلْي للنفس عن الصور التي تعرفها، وتحريكٍ للوهم في استعراض ذلك واستحضار ما غاب منه، بيان ذلك أنك كما تَرى الشمس ويجري في خاطرك استداراتُها ونورُها، تقع في قلبك المرآة المجلّوة، ويتراءَى لك الشبه منها فيها، وكذلك إذا نظرتَ إلى الوشي منشوراً وتطلّبتَ لحسنه ونَقْشه واختلاف الأصباغ فيه شبهًا، حَضَرَك ذكرُ الروض ممطوراً

---

(١) كتاب الصناعتين، العسكري، ص ٤١٦.

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق/ محمود شاكر، ط٣ المدني – القاهرة، جدة ١٩٩٢م، ص٢٦٣.

مُفْترًّا عن أزهاره، متبسّمًا عن أنواره ...".[١]

وفي حديثه عن الاستعارة "إن هذا النقل يكون في الغالب من أجل شَبَهٍ بين ما نُقِلَ إليه وما نُقِلَ عنه"[٢] يَبني إنتاج المعنى على التقابل الذي يعقده المتكلم بين المعنى الموضوع له اللفظ في اللغة والمعنى المنقول إليه في الاستعمال الاستعاري، وقوله "قد أَجمعَ الجميعُ على أن الكنايةَ أَبْلَغُ منَ الإفصاحِ، والتعريضَ أَوْقَعُ من التّصريح، وأن للاستعارةِ مزيةً وفَضلًا، وأنَ المجازَ أَبدًا أبلَغُ منَ الحقيقة" [٣] يُفهم منه أن حسن الكلام وبلاغته يظهران في إحداث التقابل والمواجهة بين الكناية والإفصاح، وبين التعريض والتّصريحِ، وبين المجاز والحقيقة.

ومما يظهر عنده أنه يُبنى على أصل تقابلي المزاوجة "يكون حالُكَ فيها حالَ الباني يَضعُ بيمينه ههنا في حالِ ما يَضَعُ بيَسارِه هنا .... فمن ذلك أن تُزاوِجَ بينَ معنيينِ في الشرط والجزاء"[٤] فيَبين المعنى ويقوم على التواجه بين المعنيين، وبين الشرط والجزاء.

ويتجلّى الأساس التقابلي عند السكاكي (ت٦٢٦هـ) في تأسيس كثير من مباحث علم المعاني على التقابل بين المسند والمسند إليه، وبناء أضرب الخبر وغرضيه على التواجه بين المخاطِب والمخاطَب[٥]، وغير ذلك مما تأثر فيه بمن سبقه.

---

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق/ محمود شاكر، ط١ المدني – القاهرة، جدة ١٩٩١م، ص ١٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٨.

(٣) الدلائل، ص ٧٠.

(٤) الدلائل، ص ٩٣.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه/ نعيم زرزور، ط٢ دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٧م، ص ١٦٦-١٧٠.

كانت هذه أمثلة لحضور التأويل التقابلي بشكل خفي عند القدامى، ولا يعدم القارئ غيرها من الإشارات الواردة في كتبهم مما ليس هذا البحث محلَّ تفصيله، فضلًا عما هو ظاهر مما بُني من مباحث البلاغة في التراث على أصول تقابلية، مثل الطباق، والمقابلة، والذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل ... إلخ

وعلى الرغم من هذا الحضور لم يضع البلاغيون القدامى منهجًا للتأويل التقابلي تُحلَّل النصوص وفْقَه، فكان مشروع محمد بازي.

ثانيًا: التأويل التقابلي عند محمد بازّي: المفهوم والإجراءات:

فسّر بازي التأويل التقابلي في مؤلفاته التي بسطه فيها بأنه طريقة لتأويل النصوص والخطابات تقوم على التقابل بين عناصر بنائها ملفوظة أو ملحوظة، حاضرة في تشكل النص، أو غائبة يستحضرها القارئ المؤوِّل، نافيا حصره في التضاد، فهو "إجراء قرائي في تمثل المعاني، وإدراك العلاقات فيما بينها، بما يسمح بأحسن فهم، ويتم العمل به بين بنيتين نصيتين متماثلتين أو متخالفتين دلاليا، وهو أوسع وأشمل من التضاد والمقابلة والترادف المعروفة في مجال البلاغة".(١)

وقد وسّع مدلول التقابل إلى جعل العناصر والمعاني وجها لوجه، حيث يقول: "يقصد به إحداث التواجه الذهني بين عنصرين أو أكثر ملفوظين أو ملحوظين".(٢)

---

(١) التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، محمد بازي، منشورات الاختلاف –الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون –بيروت ٢٠١٠م، ص ٢٢١.

(٢) نظرية التأويل التقابلي مدخلا لمعرفة الوجود: قصة موسى مع الخضر منطلقا، محمد بازي، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٨، العدد ٨، ٢٠٢٠م، ص ٨٥.

وبعبارة أخرى " التأويل التقابلي استراتيجية قرائية لصناعة المعنى، يمكن الاشتغال بها لفهم النصوص والخطابات وتفهيمها، وهي اختيار إجرائي أُسّه محاذاة المعاني بعضها ببعض، والتقريب بينها في الحيز الذهني والتأويلي عبر مواجهتها (وجها لوجه) لإحداث تجاوب ما، أو تفاعل معرفي، أو دلالي وتأويلي". (١)

لقد دعا بازي إلى توسيع آلية التقابل؛ إذ من خلالها "يمكن إثراء عملية الفهم في جميع ألوان الخطاب؛ لأن حركة القراءة .... تزاوج بين الاشتغال الأفقي الخطي للكلام وبين الامتداد العمودي الذي يبحث عن المعنى في البنيات العميقة، وهو مؤسَّس على الافتراض والتخمين وتقليب وجوه المعنى واستدعاء الأشباه والنظائر والموسوعة والسياق"(٢) عن طريق الجهد الذهني للمؤوِّل باستقصاء المعاني والوصول إلى العلاقات الممكنة، واستكشاف التقابلات.

ويفصّل ما يقوم عليه التحليل من عُدّة توصل المؤوِّل إلى مبتغاه في الإجراءات التالية: (٣)

١- الاستكشاف التقابلي وافتراض العلاقات.

٢- تشغيل الذاكرة التقابلية عبر تبادر المعاني، التذكر والدعم والتطعيم.

٣- التحقق وتوجيه الفهوم وتصويبها.

٤- استدعاء الأطر المعرفية الموسّعة.

٥- تمحيص المعاني المستخرَجة تقابليا.

٦- حذف الفهوم الخاطئة.

---

(١) تقابلات النص، ص ٩.

(٢) التأويلية العربية، ص ٢٢٩.

(٣) ينظر: نظرية التأويل التقابلي، ص ٩١-٩٥.

٧- تركيب الفهوم وإعدادها للعرض على فهوم أخرى أو على النقد.

٨- تقويم الفهوم بمقابلتها بمرجعية فلسفية موجهة.

ويوضح لنا كيفية إجراء التحليل التقابلي للنصوص فيقول: "التقابل الذهني التأويلي هو الربط الممكن مواجهةً بين أصناف من الخيارات التي يمنحها النص: كلمة مقابل كلمة لعلاقة دالة، جملة مقابل جملة لعلاقة دالة، صورة مقابل صورة لعلاقة دالة، ...، ذات مقابل أخرى لعلاقة دالة، فعل مقابل آخر لعلاقة دالة، معنى مقابل آخر لعلاقة دالة، ماديات مقابل معنويات لعلاقة دالة، ...، ضمير مقابل آخر لعلاقة دالة، الحقيقة مقابل المجاز لعلاقة دالة، ...، زمن مقابل زمن لعلاقة دالة، ...، النص موضوع التحليل مقابل نص آخر لعلاقة ما، تقابل البنية السطحية والبنية العميقة، التقابلات الملفوظة والملحوظة لعلاقة دالة ، وغير ذلك من المستويات والإمكانيات" [١] على نحو ما يتبع في التحليل الذي حان وُلوجه.

(١) نظرية التأويل التقابلي مدخلا لمعرفة الوجود: قصة موسى مع الخضر منطلقا، ص ٨٧.

الخطبة الأولى

أكثم بن صيفي يعزّي عمرو بن هند عن أخيه

"إنّ أهلَ هذه الدارِ سَفْرٌ لا يَحُلّونَ عَقْدَ الرِّحالِ إلا في غيرِها، وقد أتاك ما ليس بمردودٍ عنك، وارتحلَ عنك ما ليس براجعٍ إليك، وأقام معك من سيظعنُ عنك ويدَعُك، واعلم أنّ الدنيا ثلاثةُ أيامٍ، فأمسِ عظةٌ وشاهد عدل، فجعَك بنفسِه، وأبقَى لكَ وعليك حكمتَه، واليوم غنيمةٌ، وصديقٌ أتاك ولم تأتِه، طالَتْ عليك غيبتُه، وستسرعُ عنك رحلتُه، وغد لا ندري مَن أهلُه، وسيأتيك إن وجَدَك؛ فما أحسنَ الشكرَ للمنعِم، والتسليمَ للقادرِ، وقد مضتْ لنا أصولٌ نحن فروعُها؛ فما بقاءُ الفروعِ بعدَ أصولِها؟ واعلمْ أن أعظم من المصيبةِ سوء الخَلَف منها، وخيرٌ من الخيرِ مُعطيه، وشرٌّ من الشرِّ فاعلُه"(١).

يبدأ الخطبة بجملة مؤكدة تزيل ما اعترى عمرًا من غفلة وذهول عن هذه الحقيقة جراء مصابه في أخيه: "إن أهل هذه الدار سفر لا يحلون عقد الرحال إلا في غيرها" وفيها يعقد المشابهة بين حال الناس في الدنيا وحال قوم مسافرين من جهة المرور العابر، المسافرون لا يحلون عقد رحالهم إلا إذا وصلوا البلدة التي توجهوا إليها، وأهل الدنيا لا تُحَلّ رحالهم لينشر ما فيها وتعرض صحائف أعمالهم إلا في الآخرة، وداخل الصورة التشبيهية تتقابل المفردات حيث التقابل الظاهر بين الأضداد (يحلون) و(عقد)، (هذه الدار) و(غيرها)، فهو يرسخ عن طريق تقابل طرفي التشبيه فكرة سرعة المرور

---

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٤هـ، ٢٦٠/٣، نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، ط١ دار الكتب والوثائق القومية –القاهرة، ١٤٢٣هـ، ١٦٧/٥، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، دار الكتب العلمية –بيروت ١٩٣٣م، ٣٧/١.

والانتهاء والزوال، وأن كل من في الدنيا راحلون يحلون رحالهم في الآخرة تعزية وتسلية لعمرو عن فقد أخيه، فهذا حكم عام لا لأخيك وحده، فلتصبّر نفسك بعموم الأمر، وشمول المصاب، حيث "ينبني التشبيه .... على تقابل خفي ذي صبغة إنتاجية وصبغة تأويلية" (١) تقابل بين المشبه والمشبه به يبنيه منشئ الخطاب؛ لينتج المعنى لدى المتلقي عبر التأويل.

إن التأويل يضع الحدث الخاص (موت أخي عمرو) مقابل العام (موت الناس جميعا) ليخلص إلى الحقيقة الكونية التي لا مهرب منها، فما أحد بباقٍ في هذه الدار.

ويزيد في تعزيته بتذكيره بأنه لا حيلة له في دفع المصاب، فيقول: "وقد أتاك ما ليس بمردودٍ عنك، وارتحل عنك ما ليس براجعٍ إليك" بين (أتاك) و(ارتحل) – بالإضافة إلى التقابل الظاهر بين الإتيان والارتحال– تقابل بين حالين: حال الموت، وحال أخيه الفقيد، أتى الأول ليرحل الثاني، وكلاهما لا حيلة لك فيه، لن تستطيع رد الموت، ولن يرجع أخوك فلتصبر ولْتسلِّم.

والتعبير باسم المفعول(مردود) يعضد الغرض، لم يقل (ما لست برادّه) باسم الفاعل ليؤكد عموم الأمر، فلا قدرة لأحد على رده.

ويعبر عن تبدل الحال وتقلّبه بقوله: "وأقام معك من سيظعنُ عنك ويدَعُك" فلا شيء يدوم، وتقابل التضاد جلي بين (أقام معك) و(سيظعن عنك) من أقام معك، غدًا يرحل ويفارق، ومن يصحبك اليوم يتركك غدًا، "وترجع بلاغته إلى تأثيره من ناحيتين: ناحية لفظية بمجيئه طيعًا سلسا ... فجعل له وقعًا جميلًا مؤثرا، وناحية معنوية بما يحققه من إيضاح المعنى وتأكيده

(١) فالباني للتشبيه يقابل بين أمرين بينهما جامع الشبه فينتج المعنى، ليقوم المتلقي بدوره بإحداث تقابل بين المشبه والمشبه به لمعرفة أوجه الشبه والوقوف على المعنى وتأويله. نظرية التأويل التقابلي، ص ١٣٧.

وتقويته عن طريق المقارنة بين الضدين"[١]، بالإضافة إلى التقابل بين زمني الفعلين: فالأول زمنه الماضي، والثاني زمنه المستقبل، فلتنظر تلك المفارقة المطردة، ولتدع عنك الحزن، فالتقابل هنا يخدم دلالة التقلب التي يريدها المتكلم الداعية إلى ترك الحزن، والتقابل قائم – أيضا – بين الحال والتحول، حال الإقامة مقابل التحول (المفارقة)، كل تلك المتقابلات المستمدة من الكون المتقابل الذي تتقابل فيه الماديات والمعنويات تخدم البنية العميقة للنص، فبلاغة الخالق في خلقه علّمت المخلوقين جمال التعبير عبر التقابل والمعاني المتواجهة ظاهريا أو باطنيا.[٢].

وقوله "الدنيا ثلاثة أيام" يستحضر مقابله في الذهن (التأميل في الدنيا وتوهم امتدادها) ليدحضه، مما يحدو بالمتلقي إلى الاعتقاد الصحيح واليقين بقصر الدنيا، فمن رحل عنك اليوم ستلحق به غدًا.

ثم يفصّل هذه الثلاثة "فأمس عظة وشاهد عدل، فجعك بنفسه" في (فجع) تقابل الاستعارة؛ إذ "يتقابل في البنيات الاستعارية المستعار له والمستعار منه"[٣] وقابل أكثم ذهاب أمس وانقضاءه بالفجع وهو التألم الشديد والحزن لفقد عزيز أو حلول كارثة؛ ليتأمل المتلقي الجامع بينهما فيجده في الأثر المترتب على كل منهما، وهو التحسر على عدم العودة، فينتج لديه المعنى المقصود الذي يمثل البنية الكلية للخطبة، وهو أن كل شيء إلى زوال، والعاقل من يعتبر ولا يتشبث بشيء، لا تحزن على من فقدت ولا على أمسك الذاهب، بل احرص على التزود قبل رحيل ما ينفع.

---

(١) دراسات منهجية في علم البديع، الشحات محمد أبو ستيت، ط١، ١٩٩٤م، ص ٥١.

(٢) ينظر: نظرية التأويل التقابلي، ص ١٣٦.

(٣) نظرية التأويل التقابلي، ص ١٤٠.

"وأبقى لك وعليك حكمته" إن أحزنك فقْدُ أمس وتفلُّته، فقد عوَّضك حكمته، فالحكمة مكسب مقابل (عدمها) خسران، ذهبَ أمس، لكنه زاد في خبرتك وحكمتك في مواجهة مشاق الحياة. وهنا يقفز إلى الذهن المقابل السياقي من كون أكثم أحد المعمرين الذين حنّكتهم التجارب وأكسبتهم الحكمة قولًا وعملا. والمقابل الهدف الذي يسلمنا إليه التأويل: احرص على استخلاص العبر واكتساب الحكمة مما يجري في أيام عمرك.

وفي قوله: "واليوم غنيمة، وصديق أتاك ولم تأته، طالت عليك غيبته، وستسرع عنك رحلته" يشبه اليوم الحالي بالغنيمة في المكسب، وبصديق أتى بعد طول غياب، وسيرحل سريعا في الشوق إليه، وقلة المكث، فالعاقل من اغتنم فرصة يومه.

والتشبيه يرغب في الحرص على اليوم والاستفادة منه قبل تفلُّته؛ حيث يقابل المتلقي بين طرفي التشبيه "اليوم" و"غنيمة" فيتضح له عظم المكسب، ويقابل بينه وبين صديق غائب يُشتاق إليه، ولا يلبث أن يرحل، فيحرص على اغتنام كل لحظة فيه؛ حيث "يتقابل الممثَّل والممثَّل به زيادة في التوضيح والتقرير لما له من وقع في القلب وتأثير في العقل" (١).

وفي وصفه بقوله "أتاك ولم تأته، طالت عليك غيبته، وستسرع عنك رحلته" عدة تقابلات: حيث تقابل السلب بين (أتاك) و(لم تأته)، و(طالت) تستحضر المقابل (قصرت) و(غيبته) مقابل (حضوره) وطول الغيبة يشحذ الهمة لحسن الاستقبال، وقصرها يعقبه فتوره، والحضور الدائم يُذهِب الحفاوة، و(تسرع) مقابل (تبطئ) المستحضرة في الذهن المؤملة في امتداد النفع، و(رحلته) مقابل (إقامته) التي تقفز إلى ذهن المتلقي الأول والقراء من

(١) البنى التقابلية خرائط جديدة لتحليل الخطاب، محمد بازي، ط١ كنوز المعرفة – عمان ٢٠١٥م، ص ١٠٩.

بعده على امتداد الزمن، و(السين) المعضدة لمعنى السرعة مقابل (سوف) التي فيها قدر من الإمهال، فـ"تصور أحد الضدين فيه تصور للآخر، وعلى هذا فالذهن عند ذكر الضد يكون مهيّأً ومستعدا له"[١] والمغزى من هذه التقابلات الحث على حسن اغتنام اليوم وتوظيف كل لحظة من لحظاته في فائدة، فيومك يذهب سريعًا ولا يعوّضه شيء.

ويعبر عن القطب الثالث من الزمن وهو المستقبل بقوله: "وغد لا ندري مَن أهلُه، وسيأتيك إن وجدك" غد مجهول غامض لا تدري إن كان سيدركك أوْ لا، وإن أدركك لا تدري من تصادف فيه، "اليوم" الواقع المعيش مقابل "غد" المتوهَّم المحال علمه لاتصاله بالغيب، (إن) الحاضرة في الخطاب الدالة على الشك مقابل (إذا) الغائبة الدالة على اليقين، وجودك غدًا مشكوك فيه، وأمس قد تفلَّت، فلتحرص كل الحرص على اغتنام يومك.

وعلى غرار تشخيص (أمس) يشخص (الغد) إذ يقول: "وغد ..... سيأتيك إن وجدك" حيث شبه الغد بإنسان، وحذف الإنسان ورمز إليه بشي من لوازمه وهو الإتيان، فيقابل المتلقي بين الغد والإنسان في تفقد الموجودين، فيبث الحياة في الغد، فلتحسن استقباله، ولتحرص على أن يجدك في خير.

وغنيٌّ عن البيان تقابل التقسيم: في قوله "الدنيا ثلاثة أيام: فأمس.... واليوم .... وغد ...." وهو تقابل ثلاثي بين الأزمنة، ويُعد التقسيم مرشحًا للتقابل، ومضفيًا على الكلام مزيدًا من الحسن، "وهو آلة الحصر ومظنة الإحاطة بالشيء"[٢] حيث استوفى أكثم أقسام الزمن فلم يدع منها شيئًا، وقد

---

(١) دراسات منهجية في علم البديع، ص ٥١.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ دار إحياء الكتب العربية –القاهرة ١٩٥٧م، ٣/٤٧١.

مثّل رابطًا يشدّ الفقرات الثلاث، وأداة من أدوات التماسك النصي.

وهذا التقسيم يستدعي إلى ذهن القارئ المقابلَ السياقي قول إبراهيم ابن عثمان الغزّي:

ما مضى فاتَ، والمؤملُ غيبٌ ∴ ولك الساعةُ التي أنتَ فيها[1]

إذن نص أكثم أثّر فيما لحقه من نصوص على نحو ما يقضي به التناص الذي هو أحد معايير النصية.

"فما أحسن الشكر للمنعم، والتسليم للقادر" حضور الشكر في بنية الخطاب يستحضر نقيضه "النكران والجحود" ليؤكد للذهن نبذه وتجنبه، فقد انزوى عن التلفظ لينزوي عن الاعتقاد والعمل، إذ يؤول المقابل (ما أقبح الجحود).

و(التسليم) المطلوب مقابل (الجزع والاعتراض) الذي ينبغي هجره بل يحرم التلبس به، وإتباعه بقوله "للقادر" إيحاء بوجوب التسليم، فماذا تفعل أيها العبد الضعيف أمام قوة القادر، و(القادر) هنا صفة للمولى مقابل (العاجز) صفة العبد، وشتّان ما بينهما، فلا يسعك إلا الإذعان.

وفي قوله "وقد مضت لنا أصول نحن فروعها؛ فما بقاء الفروع بعد أصولها" شبه الآباء والأجداد بأصول الشجر، والأبناء بفروعه وغصونه في اطراد الأحكام، فما يسري على أصول الشجر يسري على فروعها وغصونها وكذا ما يسري على الآباء والأجداد يسري على الأبناء.

حين يقابل المتلقي بين طرفي التشبيه ليستنبط وجه الشبه يصل إلى المعنى المقصود، ويقتنع باطراد حكم الهلاك وشموله جميع البشر، وقد قصد

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الكاتب الأصبهاني (د. ط)، (د. ت) ٢١٩/٢.

الباثّ إيقاظ عمرو من غفلته، وتنبيهه إلى الحقيقة مشفوعة بالحجة. فالصورة التشبيهية حجة منطقية على إثبات الهلاك للفروع يمكن هيكلتها هكذا: مضت الأصول نحن فروعها

ن[1]: نحن ماضون

فضلا عن التقابل بين (المضي) و(البقاء)، وبين (الأصول) و(الفروع) لتتضح الصورة للمتلقي، ويذعن بأن المضي والهلاك لاحقٌ بجميع البشر لا محالة، إذا كانت الأصول قد مضت وبادت فما ينطبق عليها ينطبق على فروعها؛ إذ يقاس الفرع على الأصل.

"واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها" تتضح هنا المفارقة؛ إذ لا يتوقع المتلقي أن شيئا أعظم من المصيبة، فيفاجئه بأن سوء البدل والعوض عنها أعظم، فممّا يصبر النفس عن المصيبة ويسليها أن تخلَف خيرًا منها، فإذا فجع المرء بأسوأ منها كانت القاصمة، والجملة بدورها تستحضر في ذهن المتلقي أن ما يجبر عند المصيبة حسن الخلف منها، وهو إنما يتأتّى بالصبر، فهو يحثّ عمرًا على الصبر ليبلغ الجبر.

ويختم بقوله: "وخير من الخير معطيه، وشر من الشر فاعله" (معطيه) مقابله في الذهن (آخذه) فالخيرية ثابتة للمعطي دون الآخذ، إذ اليد العليا خير من اليد السفلى، فإن كان الإعطاء في ظاهره نقص، والأخذ في ظاهره زيادة فإن الزيادة والأفضلية الحقيقية للمعطي، بل هو خير من الخير، و(فاعل الشر) المذموم في النص يقابله في الذهن (تاركه) المحمود، يضاف إلى ذلك المقابلة الصريحة بين الجملتين "خير من الخير معطيه" مقابل "شر من الشر فاعله"، والتقابل البنائي حيث التوازي التركيبي بينهما بوحدة الصياغة؛ لتحمل الجملتان ترغيبًا في الخير، وتحذيرًا من الشر وُظّفت له العديد من إمكانات

(١) ن: رمز النتيجة.

التقابل.

يتضح البعد الزمني في الخطبة، حيث يحضر الزمن بأقطابه الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل. مفردات الماضي: أتاك، وارتحل، وأقام، وأمس، وأبقى، وطالت، ومضت، وأصول. ومفردات الحاضر: هذه الدار، وسفر، وغير مردود عنك، واليوم، وفروع. ومفردات المستقبل: غيرها (الآخرة)، سيظعن ويدعك، وستسرع، وغد، وسيأتــيك. تتلاقى هذه التقابلات لتنتج الدلالة على انقضاء الماضي وعدم ملك التصرف فيه، وقلة مكث الحاضر وسرعة تصرمه إلى مستقبل لا يملكه إلا علّام الغيوب؛ ليلقي في روع المتلقي ترك الحزن على ما فات، وطرح التفكير فيما هو آت، واغتنام ما بينهما وهو الحاضر.

كل هذه المتقابلات توقظ حس المتلقي وتنبهه إلى حقيقة الموت، وأنه لن يبقى أحد، وكلٌّ بالغٌ أجله، ففيم الحزن؟! وعلام الحسرة؟! غدا ستلحق الفروع بالأصول، والقاطن بالظاعن، فما الدنيا إلا رحلة، وما أهلها إلا سفر.

وبذا تعالج الخطبة مشكلة مجتمعية هي انغماس الناس في الحزن على الماضي، وتعطيل العمل والإنتاج، وهدر أيام أعمارهم.

فالتقابل المستهدف حسن التسليم بإرادة الله في الخلق وعدم الجزع لما يجري من أحداث، والإيقان بقصر الدنيا، والتفطن إلى حقيقة وجودنا فيها، والعمل على تحقيق الغاية من هذا الوجود بنشر الخير ونفع الآخرين.

الخطبة الثانية

بين يدي كسرى

"إن أفضلَ الأشياءِ أعاليها، وأعلى الرجالِ ملوكُها، وأفضل الملوكِ أعمُّها نفعًا، وخير الأزمنةِ أخصبُها، وأفضل الخطباءِ أصدقُها، الصدقُ مَنْجاة، والكذبُ مَهْواة، والشرُّ لجاجة[١]، والحزمُ مَرْكَبٌ صَعْبٌ، والعجزُ مركبٌ وطيءٌ، آفةُ الرأيِ الهوى، والعجزُ مفتاحُ الفقرِ، وخيرُ الأمورِ الصبرُ، حسنُ الظنِّ ورْطةٌ، وسوءُ الظنِّ عصْمةٌ، إصلاحُ فسادِ الرعيّةِ خيرٌ من إصلاحِ فسادِ الراعي، من فَسَدَتْ بطانتُه كان كالغاصِّ بالماءِ، شرُّ البلادِ بلادٌ لا أميرَ بها، شرُّ الملوكِ من خافَه البريءُ، المرءُ يعجزُ لا المحالة[٢]، أفضلُ الأولادِ البررةُ، خيرُ الأعوانِ من لم يراءِ بالنصيحةِ، أحقُّ الجنودِ بالنصرِ من حسُنتْ سريرتُه، يكفيكَ من الزّادِ ما بلّغكَ المحلَّ، حسبُك من شرٍّ سماعُه، الصمتُ حُكْمٌ[٣] وقليلٌ فاعلُه، البلاغةُ الإيجازُ، مَن شدّد نَفّرَ، ومن تراخى تألَّفَ"

تعجّب كسرى مِن أكثم، ثم قال: ويحك يا أكثمُ ما أحكمَك وأوثقَ كلامَك! لولا وضعُك كلامَك في غيرِ موضعِه. قال أكثمُ: الصدقُ ينبئُ عنك لا الوعيدُ، قال كسرى: لو لم يكن للعربِ غيرُك لكفَى. قال أكثمُ: رُبّ قولٍ أنفَذُ مِن صَوْلٍ.[٤]

كان النعمان بن المنذر قد سمع ما سمع من كسرى من تنقّص العرب وتهجين أمرهم، فبعث إليه وفدًا من فصحاء العرب على رأسه أكثم بن

---

(١) التمادي في الخصومة. (لسان العرب / لجج)

(٢) المحالة: الحيلة. (المعجم الوسيط/ حال)

(٣) الحُكْم: الحِكْمة (لسان العرب / حكم)

(٤) جمهرة خطب العرب، ٥٦/١.

صيفي؛ ليقوموا خطباء بين يديه؛ ليعلم أن العرب على غير ما ظن، ويبين له فضل منزلتهم، وعظيم خطرهم،[1] فألقى أكثم هذه الخطبة، كان هذا هو السياق الخارجي الذي تولّد فيه الخطاب، فالمقابل الخطابي في السياق التواصلي هو كسرى ومن في مجلسه.

يبدأ الخطبة بجمل تقريرية مؤكَّدة "إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكها، وأفضل الملوك أعمها نفعًا" وفي المقابل أحقر الأشياء أسافلها، وأدنى الرجال رعاعها، وأحقر الملوك وأدناهم أقلهم نفعًا، جمل متتالية ظاهرها الإخبار، لكنها تحمل معاني الحث والنصح والتوجيه، فلتختر لنفسك أيها الملك المكانة الأليَق بها، ولتحرص على نفع الرعية عامة دون فرق بين قوي وضعيف، ولا صغير وكبير؛ تهيئة لأن يحبّك الناس، ويدوم لك ملكك.

و(النفع) المطلوب يستبعد مقابله المنبوذ (الضرر) ليقول: إن أفضل الملوك من لا ينال رعاياه أدنى ضرر، بل يعمهم النفع جميعًا على حد سواء.

ويأتي تقابل الاستعارة: في قوله "وخير الأزمنة أخصبها" يتخيل الأزمنة أرضًا امتلأت نباتًا طيبًا وثمارًا شهية، فيحذف الأرض ويرمز لها بـــ(الخصوبة) فليكن زمن الحاكم تلك الأرض التي توسع الناس رزقا، حينئذ يكون زمنه خير الأزمنة.

إن المخاطب حينما يستحضر في ذهنه منظر الأرض البهيج بما أنتجته تلك الخصوبة، ويتأمل ذلك النفع الذي يعم الناس يرغب أن يتحقق هذا لزمنه.

والتعبير يستدعي في الذهن التقابل بين الخصب والجدب؛ ليكون المقابل الضمني للجملة (شر الأزمنة أجدبها) ليتضح حسن الأول فتزيد الرغبة فيه وقبح الثاني فيُرغب عنه ويُنبذ، ففي التقابل حث للحاكم على التوسعة على

(١) ينظر: جمهرة خطب العرب، ١/٥٤، ٥٥.

الرعية في زمن حكمه وإخصاب عيشهم ليكون خير الأزمنة، ويقاس على الأزمنة الأمكنة فلتكن أخصبها وأرغدها عيشًا تلك الواقعة تحت حكمه.

وجملة "وأفضل الخطباء أصدقها" تحمل بعدًا توجيهيّا، فليس كل خطيب صادقًا، فلا يتبع المرء كل ناعق، يوجه الباثّ المتلقي إلى التدقيق في أحوال الخطباء ليتبع منهم الصادق في وعظه، من يطابق حالُه بيانَه، لا من يتشدق بالخطب العظام ولا يتبع في سلوكه شيئًا منها.

و(أفعل) التفضيل هنا آلية حجاجية لغوية تصنفهم درجات في الأفضلية ودرجات في الصدق، فلا تقنع باتباع من اتصف بالصدق فحسب، بل من تبوأ أعلى درجاته، وكان صدقه نبراس حياته، ذاك يكون وعظه سراج جمهوره الهادي إلى سواء الصراط.

ثم يبين فضيلة الصدق وخطورة الكذب "الصدق منجاة، والكذب مهواة" يقابل الباث الصدق والنجاة في الجملة الأولى بالكذب والانزلاق إلى الهاوية في الجملة الثانية؛ ليحدث المتلقي بدوره تقابلا بين الطرفين، فيبين له حسن الصدق وقبح الكذب، ويدرك المعنى المقصود، وذلك بهدف الإقناع بالصدق والترغيب فيه، والتنفير من الكذب والتحذير منه، حيث تتضح -عبر التقابل- نجاعة الصدق، وبوار الكذب وهلاك مرتكبه، فـ"مثول الحسن إزاء القبيح أو القبيح إزاء الحسن مما يزيد غبطة بالواحد وتخليًا عن الآخر لتبين حال الضد بالمثول إزاء ضده؛ فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيبا"(١).

وجملة "والشر لجاجة" غرضها النهي عن الخصومة والتحذير منها ومن التمادي فيها؛ فهي التي توجد الشر وتهيئ له الأجواء ليشتعل أواره، والشر هنا يستحضر في الذهن مقابله الإيجابي (الخير) وما ينجم عنه (التصافي)

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني، تحقيق/ محمد الخوجة، ط ٢، دار الغرب الإسلامي -بيروت ١٩٨١م، ص ٤٥.

ليتضح قبح الشر ومسالكه فيُجتنَب، وهما ثنائية كونية باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ويتجلى تقابل التشبيه في قوله: "والحزم مركب صعب، والعجز مركب وطيء" وفي التشبيهين تجسيد لأمرين معنويين، وعرض لهما في صورة محسوسة، حيث شبه الحزم بدابة شديدة المراس، والعجز بدابة وطيئة، أي من السهولة بمكان التحول من الصعوبة إلى نقيضها، لكن العبرة بالنتائج، والعاقل من يجاهد نفسه لأجل الحزم، لا من يستسلم ويركن إلى العجز.

التقابل ظاهر في معاني الجملتين، وفي تركيبهما يتضح التقابل النحوي أو ما يعرف بالتوازي التركيبي؛ حيث بُنيت الجملتان بناء متماثلًا، بل والتوازي الصوتي حيث الصياغة الصرفية واحدة في (الحزم، والعجز)، وتكرار (مركب).

هذه التقابلات المتعددة من شأنها تقوية المعنى وترسيخه والاحتجاج له.

ويحذر من اتباع الهوى والركون إلى العجز "آفة الرأي الهوى، والعجز مفتاح الفقر" شبه الهوى بالآفة تُتلف الأشياء وتُذهب نفعها؛ إذ الهوى يفسد الرأي ويوقع في المزالق.

حين يعقد المتلقي المقابلة بين الهوى والآفة ليستنبط وجه الشبه ويصل إلى المعنى، يقتنع باجتناب الهوى والتزام التجرد والموضوعية تحريا لصحة الرأي. والتأويل التقابلي يؤُول إلى (لا تتبع أيها الملك الهوى في رأيك في العرب، تجرَّدْ منه واعرف للعرب فضلهم).

وفي الجملة الثانية تشبيه العجز بالمفتاح جاء تجسيدًا للعجز وإبرازًا له في صورة محسوسة، وتأكيدًا لكونه وسيلة للفقر كما أن المفتاح وسيلة ولوج الدار، في سبيل الإقناع بقبحه والتنفير منه.

وقوله: "وخير الأمور الصبر" يُحضِر في الذهن المقابل الضمني (شر الأمور الجزع) ذاك لن يأتي بطائل، ولن يغير الواقع، بل يضر صاحبه ويورده الهلكة.

ويأتي التقابل الظاهر بالتضاد بين جملتي "حسن الظن ورطة" و"سوء الظن عصمة" ليبين ضرورة أن يحتاط المرء في تعاملاته حتى لا يقع فيما لا تُحمد عقباه، وبين الجملتين تقابل من نوع آخر هو التوازي التركيبي؛ حيث بُنيت الجملتان بناءً متماثلا، كلتاهما اسمية من مبتدأ ومضاف إليه وخبر، والصرفي في مفرداتهما (حُسن، وسوء)، (ورطة، وعصمة)، والصوتي حيث تكرار (الظن)، وتنغيم الموازنة البديعية(١)، والتفويف(٢)؛ حيث استواء الجملتين في المقدار.

تجتمع كل هذه التقابلات لتمنح المضمون تأكيدًا ورسوخًا، وتنفي عن المتلقي الشك، وتتركه مقتنعًا مذعنا.

والظن يستدعي مقابله اليقين، حين ينتفي الظن، ويثبت اليقين، تتضح العواقب، وتزول المخاوف، تنتفي الورطة، وتتحقق العصمة.

وفي قوله "إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي" (الرعية) الجمع مقابل (الراعي) المفرد، فلا شك أن العمل على ما يصلح الجمع أولى مما يصلح فردًا واحدًا.

وتبدو مفارقة التضاد والتحويل جلية في "إصلاح فساد" حيث يتحول الفساد إلى نقيضه الصلاح، إن همزة التعدية في (إصلاح) أثرت في المعنى

---

(١) أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن. (المثل السائر، ابن الاثير، القاهرة ١٩٣٩م، ٢٧٨/١).

(٢) التفويف: أن تأتي بمعان متلائمة في جمل مستوية المقدار. (معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ٤٠٣/١).

أيما تأثير، حيث يُخضع الشيء الفاسد لعملية تحويل مؤكدة.

وهكذا تتوالى جمل الموازنة، حيث يوازن بين حسن الظن وسوئه مرة، وبين إصلاح فساد الرعية وإصلاح فساد الراعي مرة أخرى، والجمل كلها اسمية من مبتدأ وخبر مفرد، إفادة للثبوت والدوام؛ ليبين الأولى بالاعتقاد والعمل، ويوجه إلى الأصوب، فخطابه الحِكمي يعطي خلاصة تجربته في الحياة.

وإصلاح فساد الرعية يشمل تفقد أحوالهم، وسد حاجاتهم، وإغاثة ملهوفهم، وتفريج كرباتهم، وتأمين مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومأواهم ..... كل هذه مقابلات بالتتميم تستنبط من العبارة بالتأويل، إذ "المعنى الحاضر يدل على معنى غير حاضر، ولكن المتلقي يبنيه، فالكلام لا يُدفع إلينا دائما على جهة التمام، وإنما يفسح لنا مجال التتميم وإكمال المعنى الضمني ..... التأمل التأويلي يستكشف بنية غائبة مكملة، فيبنيها ويستحضرها على أساس أنها المكمل المقابل المضمر لغرض بلاغي"(١).

وما أروع تقابل التشبيه في قوله: "من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء" إذ يلقي في روع المتلقي أهمية البطانة الصالحة، إن مقارنة المتلقي بين طرفي التشبيه "من فسدت بطانته" و"الغاص بالماء" للوصول إلى وجه الشبه وهو أن كليهما لا يُرجى صلاحه، ولا سبيل إلى علاجه، تلك المقارنة توصله إلى المعنى المقصود وهو النصح باتخاذ البطانة الصالحة، تلك التي تقوّمه إذا مال وتصلح اعوجاجه، فإذا فسدت البطانة فأين المقوِّم؟! إذ الغاصّ بالطعام يُصلحه الماء، فإذا غصّ بالماء فما المسيغ المصلح؟!

إذن المقابل الخفي الذي يُستحضر في الأذهان هنا من صلحت بطانته قُوِّم اعوجاجه، وسُدّ خلله، وصلح حاله، واستقام أمره.

---

(١)) نظرية التأويل التقابلي، ص ١٥٥، ١٥٦.

"شر البلاد بلاد لا أمير بها" حيث تشيع الفوضى، وتغيب المسؤولية، وتضطرب أحوال البلاد، فلا بد من أمير، لكن ينبغي أن يكون عادلا، فـ"شر الملوك من خافه البريء" ذلك الحاكم الظالم الجبار المتسلط الذي يفتك بالرعية، ويأخذ البريء بلا ذنب ولا جريرة، فتعيش الرعية في رعب، محرومة من الأمان، هذا يخاف أن يبطش به وذاك يخاف أن يستولي على ما يملك، .... يعرض الباث الجملة في صيغة الخبر وفي طيها التحذير من إخافة البريء حتى لا يتصف بأنه شر الملوك، فليكفّ بطشه، وليحرص على إشاعة الأمن بين الناس بل على تبادل الود معهم.

واستحضار المقابلات هنا يقبح صورة الملك الطاغية لدى المتلقي ويقنعه بتجنبها، كما يجلب المقارنة بين بريء مرتعد تحت ملك جبار، وآخر ينعم بالأمن تحت ملك عادل، وهذا بدوره يعطف القلوب ليرحم الملك الأبرياء الضعفاء ويمسح عنهم الذل وخوف البطش، من هذا يستنتج المتلقي: خير البلاد بلاد تنعم بحاكم عادل يُشيع الرخاء والطمأنينة والأمان، فلتكن ذلك الحاكم.

و(البريء) المنصوص عليه في الخطاب يستحضر مقابله الضمني (المتهم /الجاني) المستبعد من الخطاب والحكم؛ ذاك أنه يستحق العقوبة، فمن العدل إخافته وإنزال العقوبة به إحقاقًا للحق، وإنصافًا للمجني عليه.

والملك المحنك لا يعدم الحيلة في إصلاح دولته ومَن حوله "المرء يعجز لا المحالة" فالحيل كثيرة لا تضيق إلا على العاجز عن تصريف الأمور، إذن المقابل الضمني: المرء الخبير بالأمور يقدر على استعمال الحيلة في تصريفها.

ثم ينتقل إلى الحديث عمن حول الإنسان من المقربين إليه "أفضل الأولاد البررة، خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة" حيث يُحمد من الأولاد البارّ،

ويُحمد من الأعوان والأصدقاء المخلصون في نصحهم، والجملة الأولى تستبعد المقابل المنبوذ (ذوي العقوق) من الأولاد، والثانية تستبعد المرائين من الأعوان، فهم شر الأعوان؛ ليوجه كسرى إلى حسن تربية أولاده ليكونوا من البررة، ويحثه على تحري الدقة في انتقاء أعوانه، والمقولة عامة في سائر الأولاد وكل الأعوان.

وفي أحقية النصر يقول: "أحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته" إذن الجنود ذوو السرائر السيئة مآلهم الهزيمة، والتأويل التقابلي يخدم المعنى العميق، حيث يلمح إلى أحقية جند العرب بالنصر لصلاح سرائرهم دون أن يواجه كسرى باستحقاق جنده الهزيمة؛ لأنهم على خلاف ذلك، فهو يستخدم الاستراتيجية التلميحية في الخطاب، ويتجنب التصريح بما يغضبه بناء على وصية النعمان بذلك؛ لأنه في أرضه ولا يأمن سطوته.

وفي قوله "يكفيك من الزاد ما بلّغك المحل" استعارة تمثيلية، حيث شبه حال الإنسان وما يجمع من الدنيا بحال المسافر وما يحمل من الزاد للسفر، فليكتفِ الإنسان وليقنع من دنياه بما فيه سدّ الحاجة، كما أن المسافر يكفيه من الزاد ما يبلغه الجهة المقصودة، فلا يتحمل في السفر مشقة حمل الزائد عن الكفاف، فالجامع بين الطرفين الاستغناء عما زاد عن الحاجة والتخفُّف منه، ويقابل الزاد تتميمًا سائر احتياجات الإنسان من شراب، ولباس، ومأوى، ومتاع، فـــ "قد يحصل التقابل بأن يكون المعنى (أ) عمدة في الكلام، وبقية المعاني (ب) و(ج) و(د) تتميمات وتوسيعات"[1]، فالزاد عمدة في حاجة الإنسان به قوام عيشه، وما سواه متممات وتوابع.

يالها من موعظة! لو تأملناها ووعيناها لامتلأت قلوبنا قناعة، وكُفينا كثيرًا من العناء والجهد.

---

(١) نظرية التأويل التقابلي، ص ١٥٩.

حينما يقابل المتلقي بين الحالين يقتنع بأن الزائد مآله التلف أو الإتلاف، الفساد أو الإفساد، فلا يحمل من دنياه ما يُثقله، ولا يطمع الراعي في مقدرات الرعية مؤثرًا نفسه بخيرات البلاد، ويخفف مؤونة الحمل.

وينحّي الشر بقوله: "حسبك من شر سماعه" اكتفِ من الشر بسماعه، لا تعاينه، ولا تخض فيه، ولا تُقدِم عليه، واحرص على ألا يُنسَب إليك، يقود التأويل التقابلي إلى التحذير من معاينة الشر وفعله، وفي المقابل الحث على الاستكثار من الخير سماعا وقولا وفعلا ....

ولعل أكثم يشير إلى ما سمع من شر كسرى بتفضيل الأمم الأخرى من الروم والهند والصين على العرب، وأنه لن يخوض في هذا الشأن وسيدَع خطابه يثبت لكسرى ضد ما افترى، إذن يؤول التأويل التقابلي في الخطاب إلى تصنيف رأي كسرى في العرب ضمن الشر الذي يكفي سماعه لخطورته.

والتقابل المستهدف حث الإنسان في كل زمان ومكان على تجنب الشر، وعدم التلبس به، ليعمر الكون بالخير.

وفي قوله: "الصمت حكم وقليل فاعله" يمدح الصمت، ويحث عليه؛ إذ استعماله حكمة قليل من يفطن إليها، فيفضي التأويل التقابلي إلى ذم الثرثرة والتشدق والتحذير منهما؛ ذاك أن الصمت يستحضر في الذهن مقابله وهو (الكلام)، وقلة مستعملي الصمت تستحضر حب الناس للكلام وكثرة استعمالهم إياه، الصمت يعصم من الزلل، مقابل الكلام يوقع فيه، الصمت يمنعك إيذاء غيرك باللسان ويقيك الغيبة والنميمة وقول الزور ...، والكلام يجلبها جميعًا أو بعضها، في حال الصمت تسمع وتفنّد، فتأخذ المفيد وتنحّي غيره، في حالة الكلام يمكن أن تضل أو تُضِل، أو تعادي من يخالفك الرأي أو تعادَى ....

ويتفرع عن حكمة الصمت "البلاغة الإيجاز" يشير إلى أنه أوجز كلامه بين يديه لضيق المقام لكنه حمّله العديد من المعاني، فليفطن إليها ويستنبطها، والعبارة امتداد لسابقتها حيث امتدح الصمت على الكلام، فبينهما تقابل تتميم، ولأن البلاغة تكمن في الكلام الموجز المفيد اقتصر من الكلام على ما يبلّغ مراده عبر الاستنباط، فهو رجل حكيم يضع الأمور في مواضعها ولا مكان عنده لفضول القول، ولسان حاله يقول: في إيجاز مقالتي تبليغ غايتي.

ويتجلى في قوله: "من شدد نفّر، ومن تراخى تألف" تقابل الحذف؛ حيث حذف مفعول (نفّر) ليفيد العموم أي نفّر كل أحد، فلا طاقة لأحد بالتعامل بالشدة، فإنتاج المعنى مبني على تأويل تقابلي طرفاه المذكور والمحذوف؛ إذ "يُنطلق من تحديد المذكور من البنيات النحوية ثم مقابلتها تأويليا بالعناصر المحذوفة؛ ليكتمل النسيج الدلالي، وتظهر معالم المعنى"(١).

كما أن الفعل مضعف العين ليفيد المبالغة والتكثير، ولا شك أن الجملة هكذا أبلغ وأوجز من أن يقال: (من عامل الناس بالشدة نفَر منه الناس، ومن عاملهم بالرخاوة ألِفوه)، القسوة تولد الكراهية والنفور، والتسامح يجلب الألفة والمحبة، تتقابل الجملتان تقابلا ظاهرا صريحا: الشدة مضادها التراخي، والتنفير يضاده التأليف، فلْيُلِن المرء جانبه للناس كسبًا للحب، ونبذًا للكراهية.

"الصدق ينبئ عنك لا الوعيد" معناه "إنما ينبئ عدوّكَ عنك أن تصدقه في المحاربة وغيرها، لا أن تُوعِدَه ولا تنفذ ما تُوعِد به"(٢) وعليه يتضح التقابل المعنوي بين اللفظين في طرفي الجملة (الصدق) و(الوعيد) إذ المراد بالصدق تنفيذ الوعيد، أي إخراجه من حيز القول إلى حيز الفعل، فهو الذي

---

(١) نظرية التأويل التقابلي، ص ١٦٥.

(٢) مجمع الأمثال، الميداني، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، ١/ ٣٩٨.

يخبر عدوك عن حقيقتك وشدة عزمك وقوة بأسك، يترتب على ذلك تقابل بين حالين: حال من يهدد ويتوعد ويبرق ويرعد، ثم لا ينفذ، وحال من ينفذ ويحارب بالفعل هذا هو الذي يرهب عدوه ويعرّفه حقيقته. وكأن الجملة دعوة إلى نزال بين العرب والفرس؛ ليبين فضل العرب، مما جعل كسرى يتراجع ويثني على أكثم " لو لم يكن للعربِ غيرُك لكفى".

ويردّ أكثم: "رب قول أنفذ من صول" يشبه القول بالصول في النفاذ والتأثير، بل يجعله يربو عليه، ومقابلة المتكلم بين طرفي التشبيه تجعل المتلقي بدوره يعقد التقابل بينهما للعثور على وجه الشبه، والإمساك بالمعنى، وهنا استحضار قوة الصول في المعركة تنعكس على القول فتمنحه تلك القوة في التأثير والوصول من قلب السامع إلى المراد، ويشفع تقابل التشبيه بتقابل التوازي الصوتي والصرفي لكلمتي (قول، وصول) حيث جرس الجناس، وتماثل الوزن الصرفي.

فهو يلقي في روع كسرى أن سلاح الكلمة قد يكون أقوى من السيف، فالقول يمكن أن يكون أكفأ من الصول في ساح الحرب.

إجمالًا، إن التأويل التقابلي للخطبة ينتج معانيها ويخدم البنية العميقة لها من رسم السياج الذي ينبغي يكون عليه الملك والرعية، وعلاقته بدول الجوار، وما يكون عليه الناس من توقير بعضهم بعضًا دون اتباع هوى، ومن تجنب للشر وسعي في الخير؛ ليصلح المجتمع، ويعيش جميعه في سلام، فالخطبة تقدّم تقويمًا لعدة قضايا مجتمعية ممتدة عبر الزمن.

الخطبة الثالثة

أكثم بن صيفي يدعو قومه إلى الإسلام

لما ظهر النبي – صلى الله عليه سلم– بمكة، ودعا الناس إلى الإسلام بعث أكثم بن صيفي ابنه حبيشًا فأتاه بخبره، فجمع بني تميم وقام فيهم خطيبًا، فقال:

"يا بني تميم لا تُحْضِروني سفيهًا؛ فإنه مَن يَسمَعْ يَخَلْ، إنّ السّفيهَ يوهِنُ مَن فوقَه، ويتبِّبُ مَن دونَه، لا خيرَ فيمن لا عقلَ له، كبرتْ سنّي ودخلتْني ذلّةٌ؛ فإذا رأيتم منّي حسنًا فاقبلوه، وإن رأيتم مني غيرَ ذلك فقوِّموني أستقِمْ. إنّ ابني شافَهَ هذا الرجلَ مشافهةً، وأتاني بخبرِه، وكتابُه يأمرُ فيه بالمعروفِ، وينهَى عن المنكرِ، ويأخذُ فيه بمحاسنِ الأخلاق، ويدعو إلى توحيدِ اللهِ تعالى، وخلعِ الأوثانِ، وتركِ الحلفِ بالنيرانِ، وقد عرَف ذَوُو الرأيِ منكم أنّ الفضلَ فيما يدعو إليه، وأنّ الرأيَ تركُ ما ينهى عنه، إن أحقّ الناسِ بمعونةِ محمدٍ – صلى اللهُ عليه وسلم– ومساعدتِه على أمرِه أنتم؛ فإن يكن الذي يدعو إليه حقًّا فهو لكم دونَ الناسِ، وإن يكن باطلًا كنتم أحقَّ الناسِ بالكفِّ عنه وبالسّترِ عليه، وقد كان أسقفُ نجران[1] يحدِّثُ بصفتِه، وكان سفيانُ بنُ مجاشع يحدِّثُ به قبلَه، وسمّى ابنَه

---

(١) أَبُو حَارِثَةَ بْنُ عَلْقَمَةَ ... رجل مِنَ الْعَرَبِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وَلَكِنْ دَخَلَ فِي دِينِ النَّصْرَانِيةِ فَعَظَّمَتْهُ الرُّومُ وَشَرَفُوهُ وبنوا له الكنائس وموّلوه وخدموه لِمَا يَعْرِفُونَ مِنْ صَلَابَتِهِ فِي دِينِهِمْ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَعْرِفُ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلَكِنْ صَدَهُ الشَّرَفُ وَالْجَاهُ من اتِّبَاعِ الْحَقّ. (البداية والنهاية، ابن كثير، مطبعة السعادة – القاهرة، ٥/٥٦).

محمدًا[١]؛ فكونوا في أمرِه أولًا، ولا تكونوا آخِرًا، ائتوا طائعِين قبلَ أن تأتوا كارهين، إنّ الذي يدعو إليه محمدٌ – صلى اللهُ عليه وسلم– لو لم يكن دينًا كان في أخلاق الناسِ حسنًا، أطيعوني واتبعوا أمري، أسألْ لكم أشياءَ لا تُنزَعُ منكم أبدًا، وأصبحتم أعزَّ حيٍّ في العرب، وأكثرَهم عددًا، وأوسعَهم دارًا؛ فإنّي أرى أمرًا لا يجتنبُه عزيزٌ إلا ذلّ، ولا يلزمُه ذليلٌ إلا عزّ، إنّ الأولَ لمْ يدَعْ للآخرِ شيئًا، وهذا أمرٌ له ما بعدَه، من سبق إليه غمَرَ المَعالي، واقتدَى به التالي، والعزيمةُ حزمٌ، والاختلافُ عجْزٌ" .

فقال مالكُ بنُ نويرة[٢]: قد خَرِف شيخُكم؛ فلا تتعرّضوا للبلاء، فقال أكثمُ: ويلٌ للشّجيِّ من الخلِيّ، وا لهفي على أمرٍ لم أَشهَدْه ولم يسَعْني.

ثم رحل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم– فمات في الطريق، وبعث بإسلامه مع من أسلم ممن كان معه.[٣]

---

(١) محمد بن سفيان بن مجاشع ممن سماهم آباؤهم محمدا قبل بعثة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لما أخبرهم الراهب بقرب مبعثه. (أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق/ علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٤ م ٥/٨٧، ٨٨)

(٢) مالك بن نويرة التميمي الحنظلي اليربوعي، قدم على النبي ﷺ وأسلم فولّاه صدقة قومه، ثم ارتد بعد موت النبي ﷺ فسار إليه خالد بن الوليد فقتله. (ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، خرج أحاديثه واعتنى به: محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث – القاهرة،٢٠٠٦م، ٢/٣٨١)

(٣) مجمع الأمثال، ٢/٣٦٧، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، جمال الدين بن نباتة المصري، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ص٣٢، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٩.

يمكننا أن نبني التقابل التخاطبي الذي يشكل إطارًا مقاميًّا للخطبة بكون الخطيب (أكثم) يدعو قومه إلى الإسلام، هو إذًا تقابل لطرفي الخطاب: أكثم، وقومه.

وبنية النداء "يا بني تميم" تستدعي الإقبال الذي هو مطلوبه مقابل (الإعراض) الذي هو غير مطلوب، وما ذاك إلا لأهمية القضية وخطورة الأمر، مما يتطلب حضور العقلاء لتدبر الأمر واتخاذ القرار الصائب، واستبعاد السفهاء "لا تحضروني سفيها" ثم يعلل "إن السفيه يوهن من فوقه، ويتبب من دونه" أي يضعف من فوقه ويهلك من دونه، مقابل (العاقل يقوي من فوقه ويأخذ بيد من هو دونه) هذا المقابل الخفي يؤيد رأيه في استبعاد السفهاء واستدعاء أولي الرأي والمشورة، ثم يؤكد ذلك بالملفوظ (لا خير فيمن لا عقل له) ونفي الخيرية يثبت في الأذهان ضدها، ويستدعي في المقابل إثباتها لأولي العقول الحكماء، هذا، فضلا عن التقابل الظاهر الصريح بين (من فوقه) و(من دونه) الذي يفيد شمول أثر السفيه السلبي مَن حوله، فضرره يتعداه إلى غيره.

ثم يقدّم بين أيديهم ما يلقي بالعذر إن وجدوا منه ما يسوؤهم "كبرت سني ودخلتني ذلة" وهي استراتيجية جيدة في الخطاب تستميل المخاطَب إلى صفّ المخاطِب، والجملة يجمعها تقابل التناص مع النص المقدس في الآية الكريمة ﴿**وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ**﴾ [يس / ٦٨].

"فإذا رأيتم مني حسناً فاقبلوه، وإن رأيتم مني غير ذلك فقوّموني أستقم" (إذا) المفيدة لليقين في الجملة الأولى مقابل (إن) المفيدة للشك في الثانية ليوحي بادئ ذي بدء أن ما سيرونه منه حسن وخير لهم، وهي استراتيجية تلميحية لأجل "العدول عن محاولة إكراه المرسَل إليه أو إحراجه لإنجاز فعل

قد يكون غير راغب في إنجازه"[1] وهي استراتيجية مناسبة لنصح المرسَل إليه وتوجيهه إلى الفعل الأصلح، فترك مساحة للاختيار أجلب للقبول من الإجبار، والجملتان متقابلتان معنى: (إذا) المفيدة لليقين مقابل (إن) المفيدة للشك والندرة، (حسنا) مقابل (غير ذلك) و(اقبلوه) مقابل (قوموني)، ويجمعهما التقابل النحوي أو التوازي النحوي؛ إذ بُنِيتا بناء شرطيا متماثلا؛ ليقول: إنه لا يحملهم قسرًا على شيء.

وليثبت أكثم صحة ما يقول يؤكد ما حدث من أمر إرسال ابنه وحديثه مع النبي ﷺ "إنّ ابني شافه هذا الرجل مشافهةً، وأتاني بخبره" فيأتي بـــ(إنّ) ويؤكد الفعل (شافه) بالمفعول المطلق(مشافهةً) ليقول: إن ما أحدّثكم به ليس رجمًا بالغيب، وما أردت لكم إلا الخير.

وليحبّب إليهم الأمر يصف الكتاب الذي جاء به، فيقول: "وكتابه يأمر فيه بالمعروف، وينهى عن المنكر" وغنيٌّ عن البيان المقابلة البديعية الصريحة بين الجملتين، مما يوضح حسن ما يأمر به، وقبح ما ينهى عنه، وبالتالي أحقية الآمر بالاتباع، ونبذ ما هم عليه من الإعراض عن دعوته.

وفيهما – أيضا– تقابل الحذف؛ فالفعلان (يأمر، وينهى) متعديان حذف مفعولهما قصد إفادة العموم، أي يأمر الناس جميعا وينهى كل أحد، فالتقابل قائم على البنية النحوية المذكورة واستحضار المحذوف لملء الفراغ واستنتاج المعنى؛ ليكتمل النسيج الدلالي، فإنتاج المعنى مبني على تأويل تقابلي طرفاه: المذكور والمحذوف.

ولمزيد من الترغيب يُتبع بقوله: "ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق، ويدعو إلى توحيد الله تعالى، وخلع الأوثان، وترك الحلف بالنيران" و(الأخذ بمحاسن

---

(١) استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط ١ دار الكتاب الجديد المتحدة –بيروت ٢٠٠٤م، ص ٣٧٣.

الأخلاق) يقابله ضمنا (ترك مساوئها) و(يدعو إلى توحيد الله تعالى) يقابله ضمناً مماثله (نبذ الشرك) الذي صرح به جزئيا في (خلع الأوثان، وترك الحلف بالنيران) إن استحضار المقابلات يقيم الحجة، ويؤكد المحاسن التي تجعل هذا الدين أحرى بالاتباع، ونصح أكثم أولى بالقبول.

وقد استعار الخلع لترك عبادة الأوثان تلك التي تلبسوا بها تلبسهم بالثياب، فهذا يخلصكم من رقّها، ولا شك أن التعبير بالخلع أبلغ من الترك؛ إذ فيه نزع وانسلاخ، وهما أقوى من الترك، وعندما يقابل المتلقي المستعار له بالمستعار منه يتضح له أن هذا الدين يطهره تمامًا من الشرك، فلا تبقى عليه شائبة، فهو ينزع عنه عبادة الأوثان كما ينزع الثوبَ لابسُه فلا يبقى عليه شيء، ففي العبارة تقابل الاستعارة.

وليبين أنه لم يأتِ بدعًا من الرأي يقول: "وقد عرف ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو إليه، وأن الرأي ترك ما ينهى عنه" "عرف ذوو الرأي" يقابله ضمنا (جهِل الحمقى)، و"الفضل فيما يدعو إليه" مقابل (الشر والرذيلة فيما أنتم عليه)، و(الرأي ترك ما ينهى عنه) مقابل (الحماقة فعل ما ينهى عنه)، وترك ما ينهى عنه يتقابل ضمناً مع فعل ما يأمر به، كل هذا يحدو بالمتلقي إلى اتباعه، والعدول عن مخالفته.

وبعد التمهيد ببيان حسن ما يدعو إليه يصارحهم بأنهم الأحق بنصرته "إن أحق الناس بمعونة محمد –صلى الله عليه وسلم– ومساعدته على أمره أنتم؛ فإن يكن الذي يدعو إليه حقًا؛ فهو لكم دون الناس، وإن يكن باطلًا كنتم أحق الناس بالكفّ عنه وبالستر عليه" يستعطفهم بالعرق العربي الذي يجمعهم بمحمد –صلى الله عليه وسلم– لذا هم أحق بمساعدته، (المعونة والمساعدة) مطلوبة مقابل (الخذلان) الذي ينبغي طرحه واستبعاده، و(أنتم) مقابل (غيركم) فإن خذله غيركم فأنتم أحق بنصرته، وعليكم نصرته سواء كان

على حق أو باطل فإن كان حقًّا فخيره لكم، وإن كان باطلًا نصرتموه بكف الناس عنه والستر عليه، فهو منكم ولكم، وفي الجملتين التقابل الصريح بين (الحق، والباطل)، وبين ضمير المخاطبين في (لكم) و(الناس)، وتقابل الضمائر بين ضمير المفرد الغائب العائد على النبي – صلى الله عليه وسلم– في (مساعدته، أمره، عنه، عليه) وضمير جمع الحضور (أنتم، لكم، كنتم) الذي يُلمِح ضمنًا إلى ضرورة نصرته، فأنتم تملكون قوة الجماعة، وهو واحد.

وافتراض كون ما يدعو إليه باطلًا استراتيجية خطابية تندرج تحت تجاهل العارف، تدعوهم إلى أن يعودوا إلى أنفسهم، ويتبصروا ويفكروا في أمره حتى يتضح لهم صوابه، فيقتنعوا من تلقاء أنفسهم؛ فإن ما يصل إليه المرء بنفسه لا يسعه إلا الإذعان له.

"وقد كان أسقفُ نجران يحدِّثُ بصفتِه، وكان سفيانُ بن مجاشع يحدِّثُ به قبلَه، وسمّى ابنَه محمدًا" يقيم عليهم الحجة على صحة ما جاء به محمد وصحة نبوّته بما هو معلوم لديهم مما حدّث به أحبار النصارى من صفته – صلى الله عليه وسلم– مما يؤكد أنه النبي المنتظر، ومعرفتهم بذلك تقتضي تصديقه، ففيم المعارضة؟ ولمَ التكذيب؟ أضف إلى التحديث بصفته التسمية باسمه تفاؤلًا بأن يكون المسمَّى النبي أو تبركًا، فأين أنتم من ذلك؟! لمَ المكابرة؟!

التحديث بصفته في كتب الأوّلين مقابل (كونه مجهولًا لهم) يقنع بالتأييد والمناصرة، فلو كان صفته مجهولة لكانت لديهم حجة، أما والأمر كذلك فقد انتفت ولا بد لهم من التسليم.

وهكذا يتدرج في الخطاب حتى يبلغ الأمر "فكونوا في أمره أولًا، ولا تكونوا آخرًا، ائتوا طائعين قبل أن تأتوا كارهين" يستعمل التقابل الصريح؛

تحفيزًا على اتباعه، وزجرًا عن مخالفته "كونوا في أمره أولًا" مقابل "ولا تكونوا آخرًا" و(طائعين) مقابل (كارهين) ليكن لكم السبق والطاعة لا التأخر والكراهة، ويحمل النهي نبرة التحذير، وتحمل الكراهة التنفير من المخالفة، ومعلوم أن الأمر والنهي على الحقيقة يتوجهان من مقام أعلى إلى مقام أدنى، وهو حاصل بالفعل في البنية الخطابية للقول، حيث مقام أكثم بوصفه سيدًا حكيمًا محنّكًا ذا خبرة، مقابل مقام قومه الأصغر سنًّا فلم تحنكهم التجارب، الأقل خبرة وحكمة، والخطبة تحكمها قصدية التوجيه والإرشاد والحرص على نفع القوم وإصلاح أحوالهم، وإنجائهم من العقيدة الفاسدة.

وفي العبارة تقابل التناص مع الآية الكريمة ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت/١١]، وهو من تناص التحوير؛ إذ سوّت الآية بين الطواعية والكره، وحثّ هو على الطاعة وفضّلها على الكراهية.

ويعلّل الأمر والنهي السابقَيْن بجملة الاستئناف البياني "إن الذي يدعو إليه محمد – صلى الله عليه وسلم– لو لم يكن دينًا كان في أخلاق الناس حسنًا" فيبدأ الجملة بـــ(إنّ) التي تدفع الشك في مضمونها، فـــ(التأكيد) مقابل (الشك) كما أنه يفيد عمق قناعته بما يحدّث، واهتمامه به، وفي المقابل يريد نقل هذه القناعة إلى قومه، و(ما يدعو إليه محمد) المطلوب اتباعه ينفي مقابله الضمني الذي هو (عبادة الأصنام) المنبوذة من وجهة نظره وقد تعلق القوم بها، فهو يريد تحويلهم من المنبوذ إلى المطلوب من خلال حضور مطلوبه في نص الخطاب وتغييب لفظ المنبوذ.

ويستخدم (لو) الامتناعية ليفيد ابتداءً امتناع عدم كونه دينًا فهو دين لامحالة و(لم يكن) مقابل بالسلب لـــ(كان) أي على فرض أنه لم يكن دينًا فهو أخلاق حسنة، فعلى أية حال لن تخسروا شيئا، إما أن تربحوا دينًا قويمًا، وإلا

فخلق حسن تتعاملون به فيما بينكم.

و(الخلق الحسن) يستحضر في الأذهان مقابله الغائب عن النص (الخلق السيء وعادات الجاهلية) فانظروا ماذا تختارون لأنفسكم؟ وفي هذا التقابل ترغيب في الخلق الحسن وتنفير من السيء، وبالتالي حث على اتباع ما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم– وتنفير من تركه والإعراض عنه.

ثم يُتبع بالأمر مُغريًا بمزايا تتحقق لهم إذا اتبعوه "أطيعوني واتبعوا أمري، أسأل لكم أشياء لا تنزع منكم أبدًا، وأصبحتم أعز حي في العرب، وأكثرهم عددًا، وأوسعهم دارًا" الأمر الذي يحمل النصح والإرشاد والتوجيه "أطيعوني واتبعوا أمري"، ثم الترغيب والإغراء بالمزايا التي يحصلون عليها باتباعه: سيضمن لهم أشياء لا تنزع منهم مهما طال الزمن وتقادم العهد، والأفضلية على كل العرب في العزة وكثرة العدد، وسعة الديار، إنه يعمل على استمالتهم وإقناعهم، فيستعمل آلية لغوية من آليات الحجاج هي (أفعل) التفضيل، وجملة "أسأل لكم أشياء لا تنزع منكم أبدًا" فيها تقابل الأزمنة الثلاثة، فهو يسأل لهم في الزمن الحاضر أشياء تكون لهم في المستقبل قد حُرموا منها في الماضي، واستحضار الزمن الماضي زمن الحرمان من هذه المزايا من شأنه أن يزيد في ترغيبهم وإقناعهم، و(العزة) تستحضر مقابلها المرفوض (الذلة)، و(الكثرة) تستحضر (القلة)، و(السعة) تستحضر (الضيق) إن استحضار تلك المقابِلات السلبية المنبوذة في الأذهان يخدم غرض الخطاب، ويحدو بالمخاطبين إلى الإقبال على دعوة محمد –صلى الله عليه وسلم– لتحقيق تلك المزايا وتجنب مقابِلاتها السلبية.

"فإني أرى أمرًا لا يجتنبه عزيز إلا ذل، ولا يلزمه ذليل إلا عز، إن الأول لم يدع للآخر شيئًا، وهذا أمر له ما بعده، من سبق إليه غمر المعالي، واقتدى به التالي والعزيمة حزم، والاختلاف عجز" .

وليعبر عن فاعلية ما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم– يُجري هذا التقابل الصريح بين الجملتين، فيحتج لصحة ما جاء به محمد، ويقنع به، ويدفع إلى اتباعه. عزة أتباع محمد مقابل ذل مخالفيه، والعربي الأصيل بطبعه يأبى الذل والهوان ويحرص على العزة والشموخ، ومن هنا تنجح الجملتان في الترغيب والحمل على الاتباع؛ إذ تعتمدان على مشترك معرفي بين الباث والمتلقي هو الحرص على العزة والإباء.

والرؤية منه مؤكدة مقابل الرؤية القائمة على الحدس والتخمين المستبعدة، وهي تنم عن عمق قناعته، وشدة رغبته في إزالة ارتيابهم وتبديد شكوكهم.

وقد وقع في الجملتين – بالإضافة إلى تقابل التضاد– تقابل العكس بين لفظين في طرفي جملتين في بنيتي (العزة، والذل) "وهذا في الحقيقة تقابل ذو مظهر لفظي بنائي، .... فيه يتأسس القول ذهنيا على بعد تقابلي سواء من حيث المعاني المراد التعبير عنها، أو كذلك في هيئات التعبير عنها لفظيا وتركيبيا"[(١)] يضاف إليه ما يحققه العكس من حسن بديعي؛ حيث "يجذب الانتباه حين تتكرر العبارة وتفيد معنى جديدا، إلى جانب أنه يجعل المعنى تارة مستحقًّا لتقديم لفظ وتارة مستحقا لتأخيره"[(٢)] ففيه نوع من المباغتة يجدّد نشاط المتلقي.

وفي عبارة "إن الأولَ لم يدَع للآخر شيئًا" كأنه يلمح إلى رسوخ عقيدة آبائهم الأولين فيهم على نحو جعل الموعظة يصعب قبولها عندهم مما يزيد في صعوبة مهمته في الإقناع، وعليه فالعبارة تستحضر تمكن الضلال من قلوبهم (الأمر الحاصل) مقابل الهداية المنشودة والتي يسعى إلى تبليغهم إياها

(١) نظرية التأويل التقابلي، ص ١٥٧.

(٢) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص، دار الكتب العلمية –بيروت، ٣١٨/٤.

فضلًا عن التقابل الصريح بين (الأول) و(الآخر).

وعبارة "وهذا أمرٌ له ما بعده" ترغِّب في الخير الذي يأتي فيما بعد لأنصار هذا الدين، وتستدعي زمن المستقبل بما يحمل من نصر وبشريات وانتشار مقابل الزمن الحاضر (زمن الخطاب) حيث المسلمون قلة مستضعفون، فحين يعقد المتلقي مقارنة بين الحالين يقتنع بأنه الدين الحق الذي يؤيده الله ويقويه فيما بعد.

"من سبق إليه غمرَ المَعالي، واقتدى به التالي" من سبق إلى هذا الدين حاز العلا، وكان سبقه فتحًا وتمكينا؛ إذ يقتدي به من بعده، فيجمع الأجرين: أجر السبق، وأجر اقتداء غيره به.

قول يستحضر مقابله غير المصرح به: من أعرض وتأخر هوى إلى الحضيض، وأضل غيره، فحمل وزره ووزر غيره، فليختر المتلقي لنفسه إما السبق والعلا وأجر الاقتداء، أو الإعراض والحضيض ووزر الإضلال، واستحضار المقابل المنبوذ ينفِّر من المخالفة والإعراض، ويغري بالسبق إلى الاتباع، ويَحمِل عليه.

وانظر إلى التعبير بالفعل (غمر) فقد صور استحواذ السابق على المعالي وكمال تمكنه منها؛ إذ غطاها كلها ولم يدع منها شيئا، والاستحواذ الكامل مقابل الاستحواذ الناقص الذي هو غير مراد، ولا شك أن الكامل أشد ترغيبا وأدعى للانصياع لمقاصد الخطاب، و(غمر) استعارة، وهو أبلغ من (حاز) و(حصل) و(بلغ) فحينما يقابل المتلقي بينه وبين ما يمكن أن يحل محله من هذه الأفعال يتضح له فضله وعلوه، فمُتّبِع هذا الدين يعلو فوق المعالي لا يحوزها أو يبلغها فقط، ففي التعبير مزيد من الترغيب بما تحمل الاستعارة من حجة.

ويختم الخطبة بجملتين تقريريتين غاية في القوة "والعزيمةُ حزم، والاختلافُ عجز" وهنا نجد الطباق الخفي بين (الحزم) و(العجز) فالحزم مسبب عن القوة المقابلة للعجز، فلْتدَعوا عنكم التردد والتشكك والاختلاف، ولتمضوا إلى الوحدة والقوة والعزيمة النافذة، فالعزيمة والحزم يستدعيان في الأذهان المقابل السلبي (التردد وعدم القدرة على اتخاذ القرار) فيحسُنان في تقدير المتلقي ويقبح الأخير، ثم يؤكد ذلك بالإخبار عن الاختلاف بأنه عجز، وأيُّ عاقل يقبل أن يُنسَب إلى العجز؟! يشبه الاختلاف بالعجز في الحيلولة دون المراد والقعود عنه، إنه قابل بين طرفي التشبيه (الاختلاف) و(العجز) ليعقد المتلقي بدوره التقابل بينهما ليصل إلى الوجه المقصود، ومن ثم يقف على المعنى، حيث " يُبنى التشبيه على استحضار المقابلات (المشبه به المناسب للمشبه)، والقصد من هذا الاستحضار التوضيح المعنوي والتأكيد"(١) وإن كان التقابل بين أمرين معنويين إلا أن الطرف الثاني بما له من قوة في الصفة يؤكد اتصاف الأول بها، وهو من إخراج الخفي إلى الجلي، حيث الاختلاف وتفرق الكلمة يقعد بالقوم عن تحقيق المنشود كفقد القدرة على الحركة، وبذا تحث الصورة التشبيهية القوم على جمع الكلمة على الحق واتباع محمد؛ إذ يستحضرون عبر التأويل التقابلي للتشبيه قبح الاختلاف وسوء عاقبته.

يُنهي الخطبة هذه النهاية المفتوحة ليترك لهم المجال ليرجعوا إلى أنفسهم؛ ليحكموا عقولهم، ثم ليختاروا.

ولما رماه مالك بن نويرة بالخرف رد أكثم: "ويل للشجيّ من الخليّ، وا لهفي على أمرٍ لم أشهدْه ولم يَسَعْني" يكني بالشجي عن نفسه وبالخلي عن مالك، فهو يمتلئ شجوًا وحزنًا خشية ألا يدرك الإسلام قبل وفاته وأن يفوت

(١) نظرية التأويل التقابلي، ص١٣٨.

قومه هذا الخير، ومالك لا يهمه شيء من ذلك، قد خلا قلبه منه، والتقابل صريح بينهما، يجعل المتلقي (مالك بن نويرة) يقارن بين حاله وحال الباثّ لتتضح له معاناته وحمله همّ قومه، وخوفه عليهم من تهلكة المخالفة علّه يرعوي.

"وا لهفي على أمر لم أشهده ولم يسعني" الجملة تشوّق إلى مقابلها المستحضر في الأذهان: يا لسروري إن شهدت هذا الأمر، ووسعني إدراكه! إذ يحمل الخير للبشرية جمعاء، واستحضار هذا المقابل يصب في غرض الخطبة، ويقنع بمقصود الخطيب الذي هو الحمل على الاتباع والطاعة، والتخلي عن الإعراض والمخالفة.

إن الخطبة من أولها إلى آخرها بنية واحدة تحمل فعلًا كلاميًّا توجيهيًّا واحدًا هو: أطيعوا محمدا واتبعوه، هذا على مستوى المتلقي الأول.

وعلى مستوى القراء عامة تقدّم معالجة لقضية مجتمعية تبدو صارخة لدى الشباب خاصة هي العناد والمكابرة وعدم الانصياع للحق؛ إذ تدعو الخطبة إلى كبح جماح النفس البشرية العصية، وإلزامها المنهج السويّ.

والتقابل المستهدف تحقيق الغاية من خلق الإنسان وهي عبادة الله وحده.

بنى أكثم هذه العوالم المتقابلة في النص انطلاقًا من معرفته بالعالم الخارجي، وبالكيفية التي تنتظم بها الأشياء تقابليًّا، ومن ثم كانت هذه التقابلات أكثر دلالة على المعنى، إذ وضوح العوالم المعنوية في ذهن الباث يؤدي إلى وضوحها في البناء اللغوي ثم في الفضاء التأويلي.

الخاتمة

كانت تلك محاولة مبدئية للاستفادة من التأويل التقابلي في تحليل خطب أكثم بن صيفي، على أمل تعميقها في بحوث تالية بالتطبيق على نصوص أخرى، وقد خلص البحث إلى النتائج الآتية:

- أنّ التقابل وسيلة فعّالة في ربط أجزاء النص، واستحضار المعاني وتطالُبها، وإنتاج الدلالة.
- انفتاح منهج التأويل التقابلي وعدم وقوفه عند حدّ، فما يزال يعطي كلما أمعن المحلِّل النظر في النص، وزادت كفاءته في التأويل.
- بنى أكثم خطبه بناءً تقابليًّا يرسّخ معانيها في أذهان قارئيها فضلًا عن ذهن القارئ المؤوِّل.
- كشف تحليل الخطب بمنهج التأويل التقابلي عن مقاصد أكثم، والدلالات الخفية للخطب وصولًا إلى بنيتها العميقة.
- استطاع تحليلُ الخطب وفق المنهج التقابلي بلورة فلسفة أكثم في النظر إلى وجود الإنسان في الكون، وما ينبغي أن يكون عليه من حسن التسليم بإرادة الله في الخلق وأن يكون عمليًّا في النظر إلى أحداث الحياة لا يندم على ماض فائت، ولا يُؤمّل في مستقبل في علم الغيب، بل يغتنم حاضره ويعمره بالمثل العليا ونفع الآخرين، ويمتثل الغاية من وجوده باتباع المنهج الرباني.

ومن خلال تطبيق هذا المنهج، وما بدا من نجاعته في التأويل تجدر التوصية باستخدامه في تحليل النصوص والخطابات بما له من طبيعة تتلاءم مع تراثنا وديننا، حيث الربط بين تقابلية النصوص والتقابلية الوجودية على نحو يربط الروح بخالقها، ويعمّق الإيمان.

المصادر والمراجع

- إحياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة – بيروت.
- استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١ دار الكتاب الجديد المتحدة –بيروت ٢٠٠٤م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق/ علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط١ دار الكتب العلمية –بيروت ١٩٩٤م.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق/ محمود شاكر، ط١ المدني – القاهرة، جدة ١٩٩١م.
- الأسس المعرفية لتأويلية التقابل، مصطفى رجوان، ضمن (نحو بلاغة تأويلية جديدة: أبحاث محكمة في جهود الباحث الأكاديمي المغربي محمد بازي) ط١ مطبعة قرطبة –أكادير ٢٠١٩م.
- الأعلام، الزركلي، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
- البداية والنهاية، ابن كثير، مطبعة السعادة – القاهرة.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ دار إحياء الكتب العربية –القاهرة ١٩٥٧م.
- البنى التقابلية خرائط جديدة لتحليل الخطاب، محمد بازي، ط١ كنوز المعرفة –عمان ٢٠١٥م.
- التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، محمد بازي، منشورات الاختلاف –بيروت ٢٠١٠م.
- تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويل تقابلي، محمد بازي، ط١ الدار العربية للعلوم ناشرون –بيروت ٢٠١٠م.
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، دار الكتب العلمية –بيروت ١٩٣٣م.

- حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص، دار الكتب العلمية –بيروت (د. ط)، (د. ت).
- خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الكاتب الأصبهاني (د. ط)، (د. ت).
- دراسات منهجية في علم البديع، الشحات محمد أبو ستيت، ط١، ١٩٩٤م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق/ محمود شاكر، ط٣ المدني –القاهرة، جدة ١٩٩٢م.
- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، جمال الدين بن نباتة المصري، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، خرج أحاديثه واعتنى به: محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث –القاهرة،٢٠٠٦م.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه، ط١ دار الكتب العلمية –بيروت ١٤٠٤هـ.
- كتاب الصناعتين، العسكري، تحقيق/ علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية –بيروت، ١٤١٩هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق/ أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، ط٣ إحياء التراث العربي – بيروت ١٩٩٩م.
- المثل السائر، ابن الاثير، القاهرة ١٩٣٩م.
- مجمع الأمثال، الميداني، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون –بيروت.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٤ مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.

- مفتاح العلوم، السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه/ نعيم زرزور، ط٢ دار الكتب العلمية –بيروت ١٩٨٧م.
- النظريات اللسانية الكبرى: من النحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بوفو، جورج إلياسرفاتي، تر/ محمد الراضي، ط١ المنظمة العربية للترجمة –بيروت، ٢٠١٢م، ص ١٣٦.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني، تحقيق/ محمد الخوجة، ط٢، دار الغرب الإسلامي –بيروت ١٩٨١م.
- نظرية التأويل التقابلي مدخلا لمعرفة الوجود: قصة موسى مع الخضر منطلقا، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٨، العدد ٨، ٢٠٢٠م.
- نظرية التأويل التقابلي، مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب، محمد بازّي، ط١ دار الأمان –الرباط، ومنشورات الاختلاف –الجزائر، ومنشورات ضفاف –بيروت ٢٠١٣م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، ط١ دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة، ١٤٢٣هـ.

Sources and references

-Ihya' 'Ulum al-Din, al-Ghazali, Dar al-Marifa - Beirut.

-Strategies of discourse - a deliberative linguistic approach, Abdulhadi bin Zafer Al-Shahri, 1st edition, Dar Al-Kitab Al-New United - Beirut, 2004.

-Asad al-Ghubba in knowing the Companions, Ibn al-Athir, edited by Ali Muhammad Muawad, Adel Ahmed Abdul Mawad, 1st edition, Dar al-Kutub al-Salamiya, Beirut, 1994.

-Asrar al-Balagha, Abd al-Qaher al-Jarjani, edited by Mahmoud Shakir, 1st edition, Al-Madani, Cairo, Jeddah, 1991.

-The epistemological foundations of the hermeneutics of contrast, Mustapha Rajwan, in Towards a New Hermeneutic Rhetoric (Toward a New Hermeneutic Rhetoric: Research on the efforts of the Moroccan academic Mohammed Bazi) 1st edition, Cordoba Press, Agadir, 2019.

-Al-A'lam, Al-Zarkali, 15th edition, Dar Al-Alam Al-Malayeen, 2002.

- Al-Bidayah wa al-Nihayah, Ibn Kathir, Al-Sa'ada Press - Cairo.

- Al-Burhan in the Sciences of the Qur'an, Al-Zarkashi,

edited by Muhammad Abul Fadl Ibrahim, 1st edition, Dar Al-Ihya Al-Kutub Al-Arabiya - Cairo, 1957.

- Comparative Structures: New Maps for Discourse Analysis, Mohammed Bazi, 1st edition, Kunooz Al-Maarifa - Amman 2015.
- Arabic hermeneutics towards a supportive model in understanding texts and discourses, Mohamed Bazi, Difference Publications, Beirut, 2010.
- Encounters of Text and Rhetoric of Discourse, Toward a Comparative Interpretation, Mohammed Bazi, 1st edition, Arab Science Publishers, Beirut, 2010.
- Jamhira Khattab al-Arab in the ages of Arabia Al-Zahira, Ahmed Zaki Safwat, Dar al-Kutub al-Alamiya, Beirut, 1933.
- Hashiya Al-Desouki among the commentaries of Al-Talakh, Dar Al-Kutub Al-Alamiyya - Beirut (No Edition), (No Date).
- Khuraida al-Qasr and Jaridat al-Asr, Imad al-Din al-Kateeb al-Asbahani (No Edition), (No Date).
- Methodological Studies in the Science of Badi'a, Al-Shahat Muhammad Abu Setit, 1st edition, 1994.
- Dalilat al-Ijaz, Abd al-Qaher al-Jarjani, edited by Mahmoud Shakir, 3rd edition, Al-Madani, Cairo,

Jeddah, 1992.

- Sarh al-Oyoun in explaining Ibn Zaydun's letter, Jamal al-Din Ibn Nabata al-Masri, edited by Muhammad Abul Fadl Ibrahim, Dar al-Fikr al-Arabi.
- Sir al-Alam al-Nubala', al-Dhahabi, who directed and took care of his conversations: Muhammad Ayman al-Shabrawi, Dar al-Hadith, Cairo, 2006.
- Al-Aqd al-Farid, Ibn Abd Rabbo, 1st edition, Dar al-Kutub al-Alamiya, Beirut, 1404 AH.
- Kitab al-San'atain, al-Askari, edited by Ali Muhammad al-Bajawi, Muhammad Abul Fadl Ibrahim, Al-Asriya Library, Beirut, 1419 AH.
-Lisan Al-Arab, Ibn Mansour, edited by Amin Muhammad Abdul Wahab, Muhammad Sadiq Al-Obaidi, 3rd edition, Ihya Al-Turath Al-Arabi - Beirut, 1999.
- Proverbs, Ibn al-Athir, Cairo, 1939.
- Compilation of Proverbs, Al-Midani, edited by: Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid, Dar Al-Marifa - Beirut.
- Dictionary of rhetorical terms and their development, Ahmed Matloub, Lebanon Library Publishers - Beirut.
-Wasit Dictionary, Arabic Language Academy in Cairo, 4th edition, Al-Shorouk International Library, 2004.

- Muftah al-Uloum, Al-Sakki, edited by Naim Zarzour, T2, Dar Al-Kutub Al-Alamiya, Beirut, 1987.
-Major Linguistic Theories: From Comparative Grammar to Pragmatism, Mary Ann Bovo, George Eliaservaty, edited by Mohammed Al-Radhi, 1st edition, Arab Organization for Translation - Beirut, 2012, p. 136.
- Minhaj al-Balagha and Siraj al-Adaba', al-Qartajani, edited by Muhammad al-Khoja, 2nd edition, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1981.
- The theory of comparative hermeneutics as an introduction to the knowledge of existence: The story of Moses with Al-Khidr as a starting point, Babylon University Journal of Humanities, Vol. 28, No. 8, 2020.
-The theory of comparative hermeneutics, introductions to an alternative knowledge of text and discourse, Muhammad Bazi, 1st edition, Dar Al-Aman - Rabat, Difference Publications - Algeria, and Dhafafaf Publications - Beirut, 2013.
-Nahiya al-Urb fi Funun al-Adab, al-Nuwairi, 1st edition, Dar al-Kutub and National Documents, Cairo, 1423 AH.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٨٣٠
تمهيد: التأويل التقابلي بين التراث والمعاصرة	١٨٣٤
أولاً: أصول التأويل التقابلي عند علماء البلاغة الأوائل	١٨٣٤
ثانيًا: التأويل التقابلي عند محمد بازي: المفهوم والإجراءات	١٨٣٧
الخطبة الأولى: أكثم بن صيفي يعزي عمرو بن هند عن أخيه	١٨٤٠
الخطبة الثانية: بين يدي كسرى	١٨٤٨
الخطبة الثالثة: أكثم بن صيفي يدعو قومه إلى الإسلام	١٨٥٩
الخاتمة	١٨٧١
المصادر والمراجع	١٨٧٢
فهرس الموضوعات	١٨٧٩